(١٠)

الناسوت واللاهوت
في أحد الحق الذي لا يموت
إنسان الله في قائمه بقديمه وقادمه

حديث الجمعة

٣٠ ذو القعدة ١٣٨٤ هـ - ٢ أبريل ١٩٦٥ م

يا من هو اللهم.. باسمك الله، هم.. بظاهرك، هم، الله.. لباطنك الله هم.. اللهم انتشلهم من أسفل سافلين، وردهم لأحسن تقويم.

اللهم.. يا من هو الله، هم قيوم قائمهم.. احفظهم لهم، هم. الله، في دائم اللهم.

إن الله بإحاطته هو الظاهر فوق كل شيء، والباطن دون كل شيء لاللهم، هو الإنسان.. للإنسان في لاهوته إلى لانهائيه. وهو الآدم.. للآدم، في ناسوته إلى أبديه.

ابنَا آدم بالحق قدما نفسيهما قربانا لكسب الحياة، فتقبل من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر. تقبل ممن وافق عمله نيته وطويته، فصار وجها للحق، له الدوام والبقاء. ولم يتقبل ممن خالف عمله طويته، أو خالفت نيته عمله، فرُد إلى عالم الصدع، كرة أخرى منظرا لليوم المعلوم له على ما رآه وعلمه.

ففي كل من عليها إلا وجهه منهم بمن هم اسم الله ورسوله، وهلك من هلك، وقد كانوا به جميعا أحياء، فهلك من فرطوا في أمرهم منه وقد كانوا جميعا، الله هم. فمنهم من كسب الله، ومنهم من خسر الله.

الله بلاهوته أوجد الخلق لناسوته، وهو على ما عليه كان، الله-هم. فناسوته ظهوره له، ولاهوته غيب ظاهره بناسوت له، عنه بلاهوته له.

آمن ظاهره بهما، بغيبه لهما، بالإنسان في أحديته لواحديته منهما، علم وكتاب نفسه {ذلك الكتاب لا ريب فيه}[١]، هدى للذين آمنوا بأنهم ظاهر غيبهم، الذين آمنوا بوجودهم، ظاهر الغيب لهم، وردوا

شهادتهم إلى غيبهم، فكان ظاهرهم مسيح باطنهم، كان ناسوتهم مسيح لاهوتهم، علما على أعلى لمعانيهم، في ذي المعارج، لمتابعتهم وتفانيهم، في المطلق اللانهائي لعقائدهم.

(الله، أوت).. (الناس، أوت).. (هو، أوت).. (لا هو، أوت).. فناسوت وصف لكل كائن في البشرية بظاهره لناسوته، وباطنه للاهوته. فلاهوته أقرب إليه من حبل الوريد. لاهوته قائم على نفسه بما كسبت.. لاهوته من ورائه بإحاطته.. لاهوته من فوقه برعايته.. لاهوته من أمامه لشهادته.. لاهوته عن يمينه لكتابه، بفعله، بقلبه، هو قلم قدرته.. لاهوته، عن يساره بتعطيله، وانتظار دورته، وفقدان سيادته، لحاضر كرته، لنكد طلعته، بصاحبه لعينه من فعله وخلقته.. لاهوته سويداء قائمه لخلقته، وكعبة قلبه لحقيقته.

جاء محمد.. جاء الحق.. جاء ال لا هو.. جاء رسول الله.. جاء لنا بناسوته ولاهوته علم الأعلى والأدنى.. الأعلى للاهوته، لاهوتا له، والأدنى والأبقى بناسوته، بقاء ناسوت له.. مرعيا من الأعلى للاهوته، في أمره من القيام لناسوته بلاهوته، وراعيا بلاهوته والأعلى لناسوته والأدنى، رحمة مهداة ورحمة للعالمين.

أدّب قيومه قائمه، فأحسن تأديبه، فظهر بأدبه لنا، وأظهره لنا معلما وقدوة، كيف يتخلق الإنسان مخلوقا بخلق الإنسان خالقا. (تخلقوا بأخلاق الله)[٢]، وأنكم تتخلقون بأخلاقه يوم تتخلقون بخلق من تخلق بأخلاقه، بدائم رسول الله بينكم رسولا منه، وعبدا له من أنفسكم في دوامها باللهم (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[٣]، (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة)[٤]، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٥]، (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٦].

إن كل رسالة أظهرها الله، أو أظهرتها السماء، أو أظهرها الكمال الإنساني في قديم الجنس وقائمه، وما سيظهر في قادمه، ولا قادم له غير قديمه لعين قائمه.. إن كل رسالة ظهرت للناسوت من شقه عليه من اللاهوت، عبس بها الناسوت مخاصمة للاهوت، دفاعا عن نفسه، وبقائه بنفسه، بقائمه بالناسوت، وهي مخاصمة فطرية منه، لقيومه باللاهوت، كرًّا على الأنا بظلامه، {إن الإنسان لربه لكنود}[٧]، {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون}[٨]، والله بالغ أمره ولو كره الكافرون بنور الله لهم، معية ناسوتهم لقائم وقيوم لاهوتهم، لمعاني الحياة بالحي من الحياة، لقيوم الحياة بالقيوم على قائمهم، {وما ظلمونا، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}[٩].

نِعم الاسم، المؤمن عنوان الإيمان للمؤمن بالله ورسوله، لا يدرك ولا يحاط به، إيمانا بالأعلى من الله ورسوله، للمطلق لله ورسوله، إلى المطلق اللانهائي لأمر الله ورسوله، لأمر المؤمن بالله ورسوله، {إن

كل من في السماوات والأرض، إلا آتي الرحمن عبدًا}[١٠]، آتي مؤمنا موصوف العبد لقائم له في نفسه، قيوما على عمله له، بموصوف الرب له، عبدا لعبد، وربا لرب، أزواجا خلق، وأزواجا حُقق، آدم لآدم.. وإنسان لإنسان.. وكلمة لكلمة.. واسم لاسم.. وروح لروح.. في الله ذي المعارج، يطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات، أو إلى الروح المطلق في الوجود اللانهائي.

الله قريب من الناس، قريب من الإنسان، حتى لا شريك له منه. عليٌّ عالٍ، متعالٍ عظيم، حتى لا عين ولا غير له، فهو لا يدرك، ولا يحاط، ولا ينال، ولا يجحد، ولا ينكر. يعرف بالعلم، ويدرك العلم للعقل بما يحيط به الإنسان من الأمر، بما تيسر له أن يحيط به من أمر الله، هو في قائمه، أمرٌ له.

إن حضر معنى الله معه، لإدراكه وإحساسه، وعمله وشهوده، غاب هو عن تواجده ووجوده، فلا وجود له، ولا تواجد له، لا بقديم ولا بقائم ولا بقادم، ولكنه الله، لا موجود بحق إلا هو.

وفي هذا المقام يقول رسول الله، (مَنْ محمد !؟؟)[١١] إني لا أعرفه، كلكم لآدم وآدم من تراب، (والذي بعثني بالحق)[١٢] ، فلا موصوف خلق لي، ولا وجود لآدم أو لمحمد بي، فأنا عين معيتي من الله، (والذي نفس محمد بيده)[١٣].

وهنا يقوم محمد، بيننا، مشتت القيام، ومشتت الوجود، فتق ناسوته عن لاهوته، وقام لاهوته قائم يد الله بناسوته، وأمسكت يد الله لمعنى لاهوته ناسوته، محيطة بناسوته، فمحت ناسوته عن وجوده، وقامت يد الله بيننا عاملة ممتدة بكوثره أبدية، على ما كانت بقديمه أزلية. وهذا ما عناه حديث الصدق بقوله، {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}[١٤]، قديما وقادما وقائما ودائما، وهنا كانت يد الله، وهي من ظهر لنا محمدا، فوقية يد الله به، ليد الله بهم، {يد الله، فوق أيديهم}[١٥]، يمين الله به ويمين الله بهم، (وكلتا يديه يمين)[١٦]، وحذرنا من نقض وتفرقة الأيمان بعد توكيدها، {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}[١٧]

{إن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون}[١٨]، إنهم يوم بايعوك فقد بايعك الله في مبايعتهم، واستخلفك على نفسه بهم، فالله من ورائهم يبايعك، ويمد يده إليك، وهو إذ يبايعك إنما يبايع نفسه، يبايع أدناه أعلاه، يد الله فوق أيديهم، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، {فمن نكث، فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى، بما عاهد عليه الله، فسيؤتيه أجرا عظيما}[١٩]، {عطاء غير مجذوذ}[٢٠]، {ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم}[٢١]، {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا}[٢٢]، ولو أنهم جاءوا الرسول، فاستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله غفورا رحيما، وجدوا الله توابا كريما. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وقدروا الله حق قدره، واعلموا أن ما

عرفتم عن الله، وما آمنتم به له، وما علمت عقولكم عنه، فهي ما علمت إلا عن الحق جاءكم، موصوف رسول الله، وقائم عبد الله، وظاهر حق الله، لإنسان إنسانية الله.

قام بينكم مشتتا، ظهر لكم بناسوته، وظهر فيكم بنور الله، منه يمتد إليكم بلاهوته، باطن ظهوره بناسوته، قائم الحياة لوجودكم، يوم تحيون بنور الله، على نور تواجدكم، لنور اهتدائكم، يهدي الله لنوره، عباده من نوره، على ما يشاء، وكيف يشاء، يهدي الله لنوره من يشاء، وما هدى لنوره إلا قائم نوره، بنور الحياة للأحياء، الله لا إله إلا هو الحي القيوم.

فما اهتدى إلى الله، إلا الله.. وما عرف الله، إلا الله.. وما استمع لقيوم الله على قائمه، إلا قائم الله لقيومه. هذا شعار لا إله إلا الله، يوم يكون شعار لا إله إلا الله شعاركم، وقوام قيامكم، وحق الحياة لمعاني الحياة في موقوتها لكم لدائمها، لبشراكم بأخراكم لأولاكم، كما بدأ أول خلق يعيده.

إن كمال وجودكم ببدئها، يوم تستكملون هذا البدء، لنهاية بها بلونها، وتجددون البدء، لعرفانكم بقيومها، على جديد قائم لها، هو جديدكم لكم. آدم لآدم.. وإنسان لإنسان.. واسم لله لاسم لله.. وكلمة لله لكلمة لله.. وروح قدس لله لروح قدس لله، في دورة الحياة أنتم لأنفسكم في أنفسكم دائروها، ولجديدكم بكم مدبروها، على ما كنتم في قديم قائمها بدائرها ومدبرها.

الله ورسوله لعين قيامكم، حقا لله ورسوله.. وعينا لله ورسوله.. وقياما لله ورسوله.. تغيبون عنكم بوجود الله ورسوله، ويغيب عنكم الله ورسوله، بوجودكم مستقلا عن الله ورسوله، فإن أمحى ناسوتكم في لاهوتكم عدتم فشاهدتم لكم الله ورسوله، مسحاء الحق بقائم عوالمكم، لمعلوم الخلق لأكوان هيا كلكم.

بذلك ظهر ناسوتكم حروفا، وكلمات، وسورا، وآيات، لكتاب الله ورسوله، وجودا تأخذونه بأيمانكم من فعلكم، أنتم للأعلى يمينه، وأنتم للحق يقينه، وأنتم للناسوت أنينه، وأنتم للاهوت رقته وحنينه.

محاكم الحب حتى أمحى ناسوتكم، وأحبَّكم الحب حتى أنتم لاهوته، وجوها لله، وكلمات لله، وحقائق لله، وأرواح لروح الله، في معراج لكم في أنفسكم بأنفسكم، أنتم عارجوه، كلما داناكم من الأعلى لطيف أنتم مؤمنوه، وآمنوه.

به تتواجدون لجديد لكم هو عينكم، به تعرفون، وتتجددون ليستخلف قيومه لقيومكم عليكم، أنتم قائموه، وقد قام على قائم منكم جديدا لكم، أنتم صانعوه، والله خلقكم وما تعملون. فبهذا بأسماء الله تتواجدون وبها تنظرون وتنظرون، وبها تقومون.

الله حقق إبداعه لكم بآباء لآبائكم، وبحقه بهم أبدع منكم جديدا لهم، فعرفتم عن قديمكم من معانيه لصفات الإبداع له بما أبدعتم، فجهلكم لمعاني الخلق والخالق زال عنكم بجديد منكم بكم تواجد امتدادا لهم، على مثال مما كان من قديمكم، لكم أوجد. وهنا عرف الإنسان نفسه بقائمه يوم عرف قديمه عين قادمه، فحرص على قائمه لهما، ومعية ربه بهما، فعرف نفسه لربه، وعرف ربه لنفسه، لا انفكاك لأحدهما عن الآخر، فهو يوم يعرف نفسه يعرف ربه، ويوم يعرف ربه يعرف نفسه، وأن هذا ناموس الفطرة، خلقناكم أزواجا.

وهو يوم وجده ربه لنفسه، لعين قائم وقيوم ربه وجها لله، واسما لله، عرف غيبه. ويوم عرف غيبه لأزله، عرف إلهه لقائمه. ويوم عرف إلهه لمعناه لعينه، عرف لانهائيه للانهائي معبوده، بلانهائي تواجده لوجوده، فرجع إلى نفسه محيطا بها كتاب معناه وكلمة مولاه، لقائم مبناه لمعاني أناه، محاطا منها بقائم مسماه لقيوم معناه، فناءً في مولاه، فعرف الله يوم شهد أنه لا إله إلا الله، لقديمه أزلا، ولقادمه أبدا، ولقائمه واسعا متسعا.

فعرفه للأعلى عبدا، وعرفه للأدنى ربا، وعرفه عن جاهليهم لهم إلها وغيبا، وعرف أنه لمن كان له ولمن رب رب، وأن له في الله رب، هو له ولمن رب رب، فعرفه لنفسه لعباد عبدا، ولأرباب ربا، فرضي حقي العبد له أمرا وسطا، واستقام وقام قائم الرب له أمرا وسطا، أمرا لله في أمور لله لا بدء لها، ولا انتهاء لها، ولا انقضاء لقائمه به أمرا لله بها. فدخل الحياة قائمة به، قائما بها لا مقطوعة ولا مجذوذة، لجنة فرده به لعينه، بمتابعيه منه إليه من أهله قياما في الأعلى له، هم منه إليهم فيه لمطلقه إلى اللانهائي.

عرف أن جنى الجنتين دان، لنعمة الله قديمة، ولنعمة الله قادمة يشهدها بنعمة الله قائمة {وأما بنعمة ربك فحدث}[٢٣]، {وكان فضل الله عليك عظيما}[٢٤]، فآمن بنفسه في إيمانه بجنانه، لعين جنته وناره، في قيامه لقائم آدمه في قائم جنته وناره لقائم داره بهيكله لجنان يرجوها لا حصر لها، ولا بدء لها، ولا توقف لها، ودور من نار لنفسه يقطعها لا ينقطع جديدها ولا يتوقف عديدها، فعرف أن الجنة والنار ما فيه له.

خلق الله كل شيء من أجل الإنسان، وما تواجد وتحقق له ما قام به إلا من أجل الأعلى، حتى تقوم معرفته لمعرفته بعرفانه له، فعرف دين الفطرة، وعرف صبغة الله، وعرف أن موهوم ومقطوع الجنة والنار إنما هو في قطيعته عنه وجهله به في غفلته عن (منهج) الحياة له، في عكس لفظ (جهنم) لموجوده في عزلة عن معبوده، {أي منقلب ينقلبون}[٢٥]، {وينقلب إلى أهله مسرورا}[٢٦]، {إلى أهلهم يرجعون}[٢٧].. (منهج) الحياة، {فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله

العذاب}[٢٨]، وما كان السور إلا مادي هياكلهم بجلودهم، تحول بين عقولهم وقلوبهم، {فإذا نفخ في الصور}[٢٩]، {سويته ونفخت فيه من روحي}[٣٠]، حصل الاجتماع والوطء والجماع، والتفاعل والإبداع.

من ذلك عرفنا أن لكل كائن من الناس، رتقه وفتقه، ناسوته ولاهوته، يوم عرفه في قائمه، نواةً لعالم، بقيوم عالم على قائمه، أراد أن يعرف عند نفسه، وعرف أن رب العالمين عالم ما فوق العالمين، جماع عوالمه له، روح قدسه لها، هو جماع أرواح عوالمه، وعرف أن عالمه لعوالمه في روح قدسه لذاته ومعناه، إنما هو كلمة الله له يوم يقومها بها.

فعرف أن كلمة الوجود وجوده في قائم بناسوته ولاهوته، يتجمع من لبنات لبيوت ترفع يذكر فيها اسم الله، في رتق من فتق بروابط المحبة اجتماعا على كلمة لله، وأن عليه في حاضره من دنياه أن يستعد لفتق من رتق مع عالمه لوجوده لجديد بعث بجديد للاهوت وناسوت لرتق مع معلومه من كلمة لله، يتابعها، دواليك إلى أعلى، وإلى أدنى، هي نقطة لدائرة في اللانهاية، بها يعرفه قائم أمر من فعله لنفسه، بنفسه، ما بين فتق ورتق لقائم ملكوت، لقيوم لاهوت، على عالم ناسوت في أحده للمطلق، بقائم حق له، في قائم اللاهوت للحق أزلا على قائم الناسوت لله في دائم الناسوت أبدا.

عرف أن كنود الناسوت للاهوت بغريزته لوصفه في عزلته، هي علة قطيعته حتى تتم له مفارقته لعزلته بكشفه لواحديته. عرف الإنسان أن الحياة في دورتها، دائبة لا تنقضي، لها دورات بين فتق ورتق بين قيام من ناسوت للاهوت، وقيام للاهوت بناسوت، ذات لروح، وروح لذات. عرف أن الحق في أدناه، إنما هو ناسوت للاهوت، هو ذات لروح، وأن الحق في أعلاه، إنما هو لاهوت لناسوت، هو روح لذات.

وعرف أن المعرفة، إنما هي في سريان اللاهوت في الناسوت فيحييه ويبقيه، ويوجده به، وعنه يفنيه، حتى ليضيفه إلى نفسه لاهوتا، يوم يتواجد منه لفعله، بفعله، بعثا للناسوت باللاهوت، وتجديدا للناسوت بالناسوت حتى يعرفه في حال لاهوته بجديد ناسوت لمعاني ناسوته.

فإذا استكمل جديد الناسوت حقه ومعناه قياما باللاهوت، ليكون في قائم الأوسع من قيوم لاهوته، بدلت الأرض غير الأرض والسماوات. وهذا هو أمر وشأن للإنسان، في مفرداته بوحداته وتجمعاته، وفي جماعه لقائمه في جمعه، في أعلى لجماعه. هو أمر قائم، ونظام دائم، وفطرة لا تتعطل، صبغة الله لا تختفي ولا تحتجب، ولا يحاط بها في مطلق أمرها، ولا تدرك إلا لقائم أمر بقائمه عنه، في قيومه عليه، بموصوف الأمر الوسط.

إذا عرفنا ذلك عرفنا الحق، وإن عرفنا الحق عرفنا أهله، وإن عرفنا الحق وأهله، فقد عرفنا الرسول وربه، عرفنا الرسول وأهله، عرفنا الرسول وعترته، عرفنا الرسول وبيئته، عرفنا الرسول وبيته، عرفنا الحق وأهله له، عرفنا الرسول ومعاني صحبته في صحبه ممن صاحب وممن لهم تابع، يوم امتد فقام بمن به قام نورا يمشي في الناس، بشرا من الناس، لا يتعطل تكاثره، ولا يتعطل ظاهره، ولا يتعطل فعله لطالبه بباطنه مع قائم بظاهره. من طلب الحق وجده، ومن وجد الحق عشقه، ومن عشق الحق قتله، فلا شريك له في وجوده لموجوده، {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}[٣١]، {فصل لربك وانحر}[٣٢]، قم وتقلب في الساجدين، ظاهرا لباطن بالحق للحق. {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم...}[٣٣].

ما عرف الرسول بحقه، إلا من أمحي فيه عن معاني خلقه، لقيوم حقه، بقائم رسول الله لأمره، (لو غاب عني رسول الله، طرفة عين، ما عددت نفسي من المسلمين)[٣٤]، عرفه رجال من أمته، ظهورا على الناس بقائمه وطلعته، كتاب رسالته، وسنة حكمته، وفعل استقامته، ودائم الحق بدائم حقيقته، كانوا لله آياته، وكانوا لحق الله بالرسول مواصلاته، وكانوا لنجدة الله يدا ممتدة بخلاصه، ولمن جاهدوا فيه، السفن المعدة لنجداته واستخلاصه، قيامة نوح بذاته وذواته لأمر سلامه لصحبه أُمما بكلماته.

هذا جاء به الإسلام، وجاء به كتابه، وجاء به أهله من المسلمين، عنونوا الإسلام قائمين، وعنونت أرواحهم استشهادهم في الله لله مسلمين عند ربهم يرزقون وبه يعملون، وإلى أهلهم من أهل الأرض يرجعون، ويد النجدة لهم يمدون.

هذا ما يسفر لنا في رسالة الروح قامها المصطفون، وعنونها الصافون، عرفها السابقون، وأنكرها اللاحقون دائمة قائمة بالمختارين من الأرواح المرشدة تظهر بعملها من الوسطاء المسلمين، بهياكل الله لله يسلمون، فيها يذكر اسمه بالروح الأمين.

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، في كل وقت وحين، عباد للرحمن هونا على الأرض يمشون، يجيبون السائلين ما كانوا صادقين، ويجانبون الغافلين ما كانوا لأنفسهم ظالمين، ويخاطبون الناس على قدر عقولهم متعطشين ومفتقرين، ما كانوا لله مستسلمين، وبه مؤمنين، وللعلم طالبين، وأبواب المعرفة طارقين، وطريق الحياة سالكين، وفي أمر أنفسهم بعقولهم، صادقة جادة مستقيمين. يتحدث منهم ركب الروح الأمين، لروح القدس بوجوهه أرواحا مرشدين هم بيوت الله عن أنفسهم مع الله غائبين، يقظين أو نائمين، في غيبوبة تامة أو في غيبوبة واعية يتحدثون ويفعلون.

إن الله لا يحب المستهترين، ولا يجيب العابثين، ولا يخفى عليه أمر المنافقين، ولا يخدعه ذرابة المكذبين، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وهو معهم يعمهون. {ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام}[٣٥]، وبالحب له أنفسهم يصفون. (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[٣٦] ، بقلوبكم حية أنتم عاملون بها تسمعون، وعن طريقها تنطقون، وبحكمتها تعملون.

(إن في الجسد مضغة لو صلحت، صلح البدن كله، ألا وهي القلب)[٣٧]، بالقلب وبفعل القلب، وبأمر القلب، وبدخول القلب في أكبر من قلب تصلح وتحيا الجوارح، وبالجوارح حية تستقيم لها الأفعال فيزداد القلب حياة وسعة، ويزداد العقل نورا على نور، وقدرة على الانتشار، فتتضاعف للذات الحياة بتجمع القلوب حية حياة على حياة، وحياة فوق حياة، وحياة بعد حياة، وحياة في حياة، وإلى أعلى من قديم الحياة، وإلى أدنى بجديد حياة.

بهذا كله جاء فقه الدين، وجاءت حكمة الدين، وجاءت صبغة الدين، وجاءت فطرة الدين، برسول الله، صبغة الله وفطرة الله، وقائم الحق من الله، وقيوم الحق بالله، فرفع شعاره بيننا، بلا إله إلا الله، والله أكبر.

فأخذنا الدين لفظا رددناه، وقائم عدم قمناه، بقائم شيطان تواجدناه، بعملنا لقائم الآباء جددناه، وبقائمنا متابعين لهم على غفلتهم أشهرناه، لا مستيقظين بيقظة من استيقظ من بينهم، ولا عاملين على تجديد اليقظين منهم، بيقظة بنا تقوم على سننهم، ذرية طيبة بعضها من بعض.

ولكنا تمسكنا متابعين لظاهر أمر الآباء، بدنياهم فُتناهم، وقلنا ما قال مخاصمو الحقائق في أولاهم، {إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون}[٣٨]، شعارا للمتابعة رفعناه للطالحين باسم الصالحين، والرسول ينبهنا للخير بيننا في دوام يبعث ويقوم (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٣٩]، (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[٤٠]، (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)[٤١]، والله يلفت أنظارنا، ويوجهنا إلى معاني الحق، وهو يقول لنا، {أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون}[٤٢]، {ما ننسخ من آية أو ننسها، نأتِ بخير منها أو مثلها}[٤٣]، أفلا تتقون! {أوليس الذي خلق السموات والأرض، بقادر على أن يخلق مثلهم}[٤٤]، أفلا تعقلون! إن الذي خلق محمدا نواةً للسماوات والأرض له، (إن الزمان به قد استدار على هيئته، كيوم خلق الله السموات والأرض)[٤٥]، أو ليس هو بقادر على أن يخلق مثلهم في خلق مثله؟ بلى وهو الخلاق العليم، {كما بدأنا أول خلق نعيده}[٤٦]، وعدا علينا في قادم، على ما فعلنا، وكنا في قديم فاعلين. إن الله لا يحب كل مسرف مرتاب، ألم يقل الرسول لنا (ما أُعطيته فلأمتي)[٤٧]؟

ألا يقدِّر الناس الله حق قدره! ألا يستيقظ الناس! ألا يفقه الناس! ألا يتابع الناس عترة رسول الله، صنو كتابه! ألا يقرأ الناس في كتابه عن عترته! ألا يسأل الناس عترته عن بيان كتابه! ألا يسأل الناس الخبير عن الله، ليعلموا عن الله! ألا يتقى الله الناس حتى يكشف عنهم أغطيتهم ويجمعهم على ربهم!

هل هان أمر الله عندهم، وهو القائم بقائمه لقائمهم، وعليهم بقيومه، فلا يعنيهم كشف أمره بهم لهم؟ أم هل هان عليه أمرهم حتى أنهم وقد صاروا في غنية عنه بتفريطهم لأمره بهم، فهو لا يبعث منهم من يعلمهم عنهم منه، وهو إذ يعلمهم عنه، إنما يعلمهم عنهم؟

هل علموا عنهم فجهلوا عنه؟ هل انعكست بصائرهم في أنفسهم لبصيرتهم، ولم تكشف أغطية خلقهم بقائم هياكلهم لماديهم من أغلفة قيامهم بجلودهم عن حقائقهم؟ وقد أظلمت زجاجتهم بصنعهم، ومن عملهم، في متابعة أهل الغفلة من آبائهم، ومن أمثالهم على غفلتهم، وقد اتخذوهم قدوتهم، من قائمهم لحاضرهم. (المرء على دين خليله، فلينظر أيكم من يخالل)[٤٨].

هل فعلوا وجاهدوا مصدقين لما بين أيديهم من كتاب الله ولم يوفهم الله أجورهم، بقانون فطرته، فيكشف عنهم أغطيتهم، ويقوم ويبعث فيهم أمرهم، فيريهم ويهديهم إلى قائم رسالته لحق صبغته، بقائم عترة رسوله مسحاء إنسانه، وظلال إحسانه، وتجديد بيانه، ونور الأقدس لعنوانه، في قائم حجابه، من معاني خلقه في خلقهم، نائما فيهم يطوف بالكعبة، يقظا بظلاله بينهم، يواصل حديثه، وفعله، ورسالته؟

بهذا كله جاءت حكمة الدين مع الحكماء، جددها تبليغا وهديا الأنبياء، فقامت رسالة الدين مع العلماء، وتواصل هدي الدين مع الفقهاء، واستقامت طريق الدين مع القيمة العاملين، مأمورين وأمراء، عنوان الطريق، باستقامتهم للمستقيمين، آيات لله تترى، الناس عنها غافلين.

وهم يوم ترد أعمالهم إليهم يخرج لهم دابةً من الأرض، رسولا من أنفسهم، على ما كان، وآية من آياته على ما أبرز، وفي دوام يفعل ويبرز، تكلمهم أن الناس كانوا بآياتهم منهم، لآياته لهم، لا يوقنون، (أول من تنشق الأرض عنه أنا)[٤٩]، وكم هي عنه انشقت، وما يدركون.

يومئذ يتجدد الرسول بينهم، باسمه يعرفون، وبصفاته عنها يعرضون، وبها لا يقومون، ولكن عنها يتناجون، وبها لا يعملون، ولكنهم لها في صحف من الورق يسجلون، بها يحتفظون ولها يقرأون وبها يتسامرون.

يومئذ تنشق الأرض عنه، على ما بشر، وعلى ما وعد، وعلى ما أنذر، (أول من تنشق الأرض عنه أنا)[٥٠] (بعثت والساعة كهاتين)[٥١]، مشيرا لأصبعيه، لحقيقتيه من الحق لله به باطنا به لخيرهم، أو

سافرا به لقضاء الله بهم، (أنا حي في قبري من حج ولم يزرني فقد جفاني)[٥٢]، {وإن الدين لواقع}[٥٣]، ما كان لبشر من قبله الخلد، ولكنه بشرا خالدا لا يغيب، أظهره الله وجعل به الخلد، لكل من يعمل بعمله، ليكون رحمة للعالمين، ورسالة دائمة تبلغ وتبين. لا يقومها إلا الحكماء العارفون، والعلماء الصادقون، ولا ينتفع بها إلا الفقهاء العاملون، والأصفياء المستقيمون، لهم الخلد على ما له بالحق له يتابعون، ومعه يحشرون، وبه يعملون، وتعالى الله عما يصفون.

{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}[٥٤]. لك يسلمون، ويَسلمون، قل جاء الحق، وتعالى الله عما تصفون أو تدركون، أو تقيدون، أو تعلمون، أنتم به العليم الخبير، وأنت بلاهوته لك، على ناسوتك منك استقمت بما قوَّمك، وصبرت بما صبرك، وعلمت بما علَّمك، وتأدبت على ما أدبك، وهذا لهم من الله، يوم هم عليه لك يتابعون وله يعملون، هذا أنت هو الحق الذي ينشدون، وله في أنفسهم يجهلون. هو لهم بك يوم هم من منامهم بدنياهم لقائم أخراهم، بك يستيقظون.

استيقظ لأمرك، ولا تخدع في نفسك، {واستقم كما أُمِرت}[٥٥].. وعليك نفسك، ولا يضرك من ضل إذا اهتديت، ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا - وقد اهتديت إلى ما إليه اهتديت - خير لك من الدنيا وما فيها.

ذَكِّر إن نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى، واعلم أن توفيقك إنما هو بالله، ولا تبرئ نفسك من عرضتها لزلاتها بغريزتها ما دمت في جلباب ناسوتك، مهما تأدبت، ومهما تعلمت، {ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما}[٥٦]، لم يوفِ ناسوته لأمر لاهوته، بما أدبه لاهوته، وبما قام على ناسوته به، فاستيقظ لأمرك فإنه، {لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون}[٥٧].

فماذا قال الرسول لنا؟ قال: (أنا أقربكم إلى الله وأخوفكم منه)[٥٨]، (ها أَنا رسول اللَّه بينكم، ولا أدرِي ما يفعل بي غدا)[٥٩]، (إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة)[٦٠] وإن كانت أغيان أنوار ولم تكن أغيان أغيار، عن معاني اللاهوت لي، في قائمه بي، وقيومه علي، ناسوتا بينكم، {إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ، أنما إلهكم إله واحد}[٦١]، بذلك أُمرت أن أقول لكم. وبه كنت قدوة لكم.

بهذا جاء الدين، وبهذا يستقيم أمر الدين للفرد يوم يستقيم الفرد لأمره. كما جاء للجمع ليستقيم يوم يتواصى الجمع بفرده. كما جاء للناس ليستقيم الناس يوم يعرف الناس أنهم جميعا لروح واحد، ولأبوة واحدة، لناسوت واحد بآدمهم، وللاهوت واحد بإنسانه لله عليهم، للحي في حياتهم، وللقيوم على حياتهم بقائم أحيائهم عليهم.

هم لإنسان واحد، وبيت واحد قام بينهم لمعلومهم يوما، ويقوم متجددا بينهم دوما، رسلا من أنفسهم، عبادا للرحمن يمشون بينهم، واعلموا أن فيكم رسول الله، لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم، كما فعل بنو إسرائيل بكلمة الله إليهم.

ما زالوا بانتظارها وهي لم تغب عن أرضكم، واعلموا أن فيكم رسول الله، يوم تتقون الله، وتقدرون الله حق قدره، فتعلمونه الحق من الله فيكم، والحق من الله لمعاني الحياة لكم فتهدون إليه بينكم وفي أنفسكم.

بذلك قامت شهادة لا إله إلا الله، وشهادة محمد رسول الله، في شهودنا محمدا رسول الله، لقائمنا في أنفسنا محمدين به، ظلالا له، قائم قيامنا، وقيوم قائمنا، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}[٦٢]، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة}[٦٣].

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من أعطيت محمدًا الوسيلة والفضيلة.. اللهم اجعله وسيلتنا إليك، وفضيلتنا منك بك لك.

اللهم اجعل منا ظلالا له، إيمانا به، وقياما بك.

اللهم اجعله معاني الحياة في قيامنا، وقيوم الحياة على قائمها لنا.

اللهم بمحمد فارحمنا.. اللهم بالحق به فأحينا.

اللهم بوجهه لك فقمنا.

اللهم بيده منك نخلصنا، وبيدك به لنا فينا، إيمانا له فقومنا، وبه حقق استقامتنا، وألف بين قلوبنا، وزكي نفوسنا، وحرر أرواحنا، وأنر عقولنا.

اللهم به فوِل أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم كن لنا به حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ٢

٢ استلهاما من عدة أحاديث: "إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبزار والترمذي الحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلي. وأيضا الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة "، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخريج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني

٣ حديث شريف. جاء في الموسوعة الحديثية لابن حجر، والعسكري في كتابه "الأمثال"، والسَّرَقُسْطِيِّ في كتابه" الدلائل "، والسيوطي في كتابه" الجامع الصغير"، وابن السمعاني في" أدب الإملاء "، وأبو نُعَيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان.

٤ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٥ سورة الشعراء – ٢١٨، ٢١٩

٦ حديث شريف: أخرجه أحمد والبخاري، والبزار باختلاف يسير.

٧ سورة العاديات -٦

٨ سورة الصف -٨

٩ سورة الأعراف -١٦٠، سورة البقرة-٥٧

١٠ سورة مريم -٩٣

١١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٢ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.

١٣ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.

١٤ سورة الفتح -١٠

١٥ سورة الفتح -١٠

١٦ حديث شريف: " المُقسِطونَ يومَ القيامةِ على منابرَ مِن نورٍ عن يمينِ الرَّحمنِ وكلتا يدَيهِ يمينٌ: المُقسِطونَ على أهليهم وأولادِهم وما وَلُوا. صحيح ابن حبان، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.

١٧ سورة الفتح - ١٠

١٨ سورة النحل -١٢٨

١٩ سورة الفتح -١٠

٢٠ سورة هود -١٠٨

٢١ سورة النساء -١٤٧

٢٢ سورة الزمر-٥٣

٢٣ سورة الضحى -١١

٢٤ سورة النساء -١١٣

٢٥ سورة الشعراء -٢٢٧

٢٦ سورة الانشقاق -٩

٢٧ سورة يس -٥٠

٢٨ سورة الحديد- ١٣

٢٩ سورة الحاقة- ١٣

٣٠ سورة ص- ٧٢، سورة الحجر -٢٩

٣١ سورة الإسراء -٨١

٣٢ سورة الكوثر- ٢

٣٣ سورة الكهف -٢٨

٣٤ عبارة صوفية يقال إنها للسيد أبي الحسن الشاذلي، كما يقال إنها للسيد أبي العباس المرسي

٣٥ سورة البقرة - ٢٠٤

٣٦ حديث شريف: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم، وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم." رواه مسلم

٣٧ حديث شريف: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب." أخرجه البخاري ومسلم.

٣٨ سورة الزخرف -٢٢

٣٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

٤٠ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٤١ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.

٤٢ سورة البقرة- ١٧٠

٤٣ سورة البقرة -١٠٦

٤٤ سورة يس- ٨١

٤٥ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض." أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.

٤٦ سورة الأنبياء -١٠٤

٤٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤٨ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

٤٩ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٥٠ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٥١ حديث شريف: " بعثت أنا والساعة كهاتين"، (وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام) صحيح البخاري، ورواه أحمد ومسلم والترمذي.

٥٢ حديث شريف رواه الدارقطني، يتوافق مع الحديث الشريف: "ما من مسلمٍ يُسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام." رواه أبو داود بإسنادٍ جيدٍ، وحديثين ذكرهما الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة": "أنا في قبري حي طري، من سلم علي سلمت عليه" و "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبزار.

٥٣ سورة الذاريات -٦

٥٤ سورة النساء- ٦٥

٥٥ سورة الشورى -١٥

٥٦ سورة طه - ١١٥

٥٧ سورة الأعراف - ٩٩

٥٨ إشارة إلى أكثر من حديث شريف منها: "إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ باللَّهِ أَنَا." صحيح البخاري. أيضا "... ما بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ باللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً." أخرجه البخاري ومسلم.

٥٩ من حديث شريف: " واللَّهِ ما أَدْرِي - وَأَنَا رَسولُ اللَّهِ - ما يُفْعَلُ بي ولَا بكُمْ" صحيح البخاري.

٦٠ حديث شريف. المصدر: مجموع الفتاوي. المحدث ابن تيمية. صحيح حسن. وجاء في الصحيحين، وسنن أبو داود بصيغة "إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في اليوم مائة مرة".

٦١ سورة الكهف - ١١٠، سورة فصلت -٦

٦٢ سورة الأنفال - ٣٣

٦٣ سورة النحل- ٦١